فيه عن الأمر بالقتال، وقوم خارجين على هذا الأمر، قبل الآية موضع الإشكال بخمس آيات، وغير خاف في تركيبه أنه شرحٌ لحالهم في خوفهم القتال وجهلهم بحكمته وحكمة الموت الذي هو مصيبهم حيثما كانوا، سواءً في الحرب كانوا أم السلم، والقطيعة بين قلوبهم والإيمان بقدر الله، الذي منه يكون كل ما يصيب الإنسان مما لا حيلة له فيه، كالموت أو النجاة.

وربما يكون الأمر قد التبس عليه عند التفسير أو الإملاء، لأنه أتبع الكلام على هاتين الآيتين بتفسير آية الأعراف، التي فسر فيها الحسنة بالخصب والسيئة بالجدب جزءاً من سياق الحديث عن ابتلاء آل فرعون بالسنين ونقص الثمرات وقد أشرنا إلى تفسيرها آنفًا.

ذلك أن سياق الموضوع الوارد فيه اللفظ واضح، ولا محل فيه للتخصيص بالجدب والخصب، فإن لم نخصصه بالموت والحياة أو النصر والهزيمة، فلنبقه مفتوحًا لعموم الدلالة على كل خير وكل شر، مطلقًا عن التقييد بحدث ما، ليفهم منه عجزهم عن الإيمان بالقدر مطلقًا أو تعاميهم عن ذلك ﴿لا يكادون يفقهون حديثًا﴾.

أما إدخال معنى الخصب والجدب فلا محل له ولا نظن الأمر إلا سبق لسان من ابن قتيبة عند التفسير والإملاء.

فحاصل دلالة الآية على كل حال يدور في عدم إيمان هؤلاء القوم بالقدر.

ليكون قوله تعالى: ﴿قل كلٌّ من عند الله﴾ نصا صريحًا لشرح الحكم في ما يصيب الإنسان من خير وشر. هو أنه القدر الواجب الإيمان بكل ما يحمله أو يجلبه لنا، وهذا أحد أركان الإيمان الستة المنصوص عليها بلفظٍ آخر في الحديث الصحيح المعروف[1].

---

(١) أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزًا يومًا للناس فأتاه جبريل، فقال: ما الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث [وفي الرواية الأخرى: والقدر خيره وشره]، قال ما الإسلام، قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال ما الإحسان، قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال متى الساعة، قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربّها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إن الله عنده علم الساعة...﴾ الآية، ثم أدبر فقال: ردوه فلم يروا شيئًا، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم. قال أبو عبد الله ـ أي البخاري ـ جعل ـ أي النبي صلى الله عليه وسلم ـ ذلك كله من الإيمان.